كل أحد

هل يعيش العــرب الآن في ظلامِ القــرونِ الوسطــى؟!

شاكر النابلسي

-١-

يُطلق بعض النقاد والمفكرين على العصر العربي الحالي، بأنه كعصر القرون الوسطى المظلمة.

فما هي الملامح السياسية والاجتماعية للقرون الوسطى المظلمة، وما هو وجه المقارنة بينها وبين العصر العربي الظلامي الحالي؟

وهل حقاً يعيش العرب الآن في ظلام كظلام القرون الوسطى، رغم مظاهر المدنية العربية التي تتشبه بالمدنية الغربية –رغم احتجاج ومعارضة المؤسسات الدينية على ذلك- من حيث استخدام الطائرات والسيارات في المواصلات، ومن حيث المأكل والمشرب والمسكن، ومن حيث استخدامهم للانترنت وأجهزة الاتصال الحديثة، ومن حيث تعاملهم مع منجزات التكنولوجيا الغربية عموماً؟

وهل يشفع للعرب استخدامهم لانجازات التكنولوجيا الغربية في كافة مجالات حياتهم لكي نعتبرهم يعيشون في العصر الحديث بكل منجزاته العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية؟

أم أن العرب أخذوا من الغرب فقط كل ما يمكن أن يُستهلك ويُستعمل وهو المأكول، وتركوا لهم العقل وحُسن الإدارة والحرية والديمقراطية وهو المذموم.

-٢-

في السياسة كان الحاكم في القرون الوسطى هو الحاكم المطلق ، صاحب الحق الالهي، لا يحاسب ولا يعاقب. فلم نشهد في التاريخ العربي كله منذ ظهور الإسلام حتى اليوم وما قبل الإسلام، أن جرت محاكمة لحاكم عربي أساء استخدام السلطة، ونهب المال العام، واستبد، وطغى ما عدا الحاكم المطلق صدام حسين، الذي تجري محاكمته الآن في العراق، بعد أن خرج العراق من ظلام القرون الوسطى الى أنوار العصر الحديث، وخلع مسوح الاستبداد، ولبس لبوس الحرية. وهو ما أفقد الانظمة العربية صوابها التي بدأت تحسب حساباً جدياً للغد الآتي القريب. وتعتبر ما حصل في العراق هو ثعبان سياسي سوف يلدغ كل الأنظمة العربية المشابهة للنظام الذي سقط.

في تاريخ القرون الوسطى المظلمة - وهنا القرون الوسطى لا تعني التوسط الزمني ولكن الوضع الظلامي السائد في أي عصر- قرأنا، أنه عندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة قال المؤرخ السيوطي في (تأريخ الخلفاء ص٢١٩، ٢٤٦) أن يزيد (أتى بأربعين شيخاً شهدوا له أن ليس على الخلفاء حساب ولا عذاب) .

وفي القرون الوسطى المظلمة الجديدة - أي في عصر العرب الحديث - سمعنا علانية، وعلى شاشة التلفزيون في ١٩٧٦ الشيخ محمد متولي الشعراوي - وكان وزيراً للأوقاف - يقف في مجلس الشعب المصري مخاطباً الرئيس السادات بقوله:

(والله لو قُدر لي أن اقول لك إنك لا تسأل عمّا تفعل، لقلتها لك).

وقرأنا في تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) عن أن يزيد بن معاوية أباح المدينة المنورة في (واقعة الحرّة) الشهيرة ثلاثة أيام، سرقت، ونهبت، واغتصبت فيها ألف عذراء ومفاسد عظيمة ليس لها حد ولا وصف، بعد أن ضربها بالمنجنيق).

وفي القرون الوسطى المظلمة الجديدة - أي في عصر العرب الحديث- فعل صدام في الكويت وأهل الكويت في ١٩٩٠ أشنع وأفظع مما فعله يزيد بن معاوية في المدينة المنورة، ورغم هذا لم يطالب أحد في العالم العربي من مشرقه الى مغربه بعزله ومحاكمته.

ورغم قول السيوطي في (تأريخ الخلفاء ص٢٠٩) بأن بعض الخلفاء من كان ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، إلا أن ابن كثير يحذر باسم الدين الخروج والثورة على مثل هؤلاء الحكام، ويقول:

(إن الإمام الفاسق لا يُعزل بمجرد فسقه على أصح قول العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك إثارة الفتنة، ووقع الهرج، وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن).

وما ذلك الاحتجاج الكبير الآن من قبل الأنظمة العربية والشوارع العربية والزواريب العربية على عزل صدام وسقوطه، وبكاء بعض النساء والرجال العرب عليه، والصدمة العنيفة التي اجتاحت العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه نتيجة محاكمته، واصرار (قناة الجزيرة) في استفتائها المطبوخ والمضحك الأخير على أن ٨٤٪ من المستفتين يرون عدم شرعية محاكمة صدام، إلا نتيجة لمثل هذه التربية السياسية السيئة والعريقة المتأصلة في التراث السياسي العربي المظلم، وفي الضمير السياسي العربي الذي مات منذ قرون طويلة!

والعراق وحده الآن بما فعل منذ التاسع من نيسان ٢٠٠٣ إلى الآن وبمحاكمته لصدام الذي ظهر كراعي الأغنام، هو الذي قفز على الخطوط الحمر والسود والخضر، ونطّ على الحبال، واجتاز العوائق والسدود، وعبر الحدود من ظلام القرون الوسطى السياسي إلى أنوار العصر الحديث.

-٣-

في الحالة الاجتماعية، لم يكن للمرأة العربية في القرون الوسطى المظلمة صوت ولا خبر ولا دور.

كانت ماكينة نشطة للخلف والعلف فقط.

المرأة العربية الآن في أحط وضع يمكن للمرأة في العصر الحديث أن تصل إليه، كما قالا لنا تقريرا الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعامي ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

وعندما تبادر بعض الأنظمة العربية لانصاف المرأة واعطائها بعضاً من حقوقها العامة تتصدى المؤسسة الدينية لمثل هذه المبادرات، وتحول بينها وبين أية خطوة إلى الأمام.

ففي ٦/١١ /٢٠٠٤ ألقى إمام الحرم المكي الشيخ سعود الشريم خطبة الجمعة، قال فيها تعليقاً على الحوار الوطني الدائر الآن في السعودية لاعطاء المرأة جزءاً من حقوقها العامة:

(أصبحت قضية المرأة الشغل الشاغل للكثيرين والحديث الأول، في الوقت الذي تشهد فيه الأمة صنوفاً من الظلم والقهر والبطالة والفقر والإنحراف والتضليل، وتسلط الأعداء من الداخل والخارج، ولا نجد لها أطروحات في الواقع المرئي والمسموع والمقروء. إن فتن العصر سببها المرأة. وأن المرأة لا مقدرة لها على المناصب المتقدمة في مجتمعنا).

ولكن ما بال الدول الإسلامية غير العربية كتركيا وأندونيسيا والباكستان وبنغلادش تنصّب المرأة في أعلى المناصب كرئيسة للوزراء، فهل لأن هذه الدول الإسلامية قد خرجت من ظلام القرون الوسطى إلى أنوار العصر الحديث فيما بقي العرب في ظلامهم وظلمتهم وهم اخوان لأولئك في الدين الواحد؟

-٤-

في عام ١٩٧٩ وقف الشيخ صلاح أبو إسماعيل في مجلس الشعب المصري، وهاجم قانون الأحوال الشخصية الذى كان يبيح بعض الحقوق للمرأة. وقال:

(ان النبي لم يعتبر كذب الزوج على الزوجة ليرضيها كذباً، ولا كذب الرجل فى الحرب، فالحرب خدعة).

ويقول حسن البنا فى كتابه (حديث الثلاثاء ص٣٧٠) مؤكداً أن المرأة خلقت للعلف والخلف، كما كان حالها في العصور الوسطى المظلمة:

(إن مهمة المرأة زوجها وأولادها. أما ما يريد دعاة التفرنج وأصحاب الهوى من حقوق الانتخاب والاشتغال بالمحاماة، فنرد عليهم بان الرجال وهم أكمل عقلا من النساء، لم يحسنوا أداء هذا الحق، فكيف بالنساء وهن ناقصات عقل ودين).

وهناك أقوال ومواقف كثيرة من المؤسسات الدينية المختلفة في العالم العربي القروسطي المظلم. وهي مواقف ليست مختلفة، ولا مغشوشه تراثياً، وانما هي أصلية تراثيا مائة بالمائة. وهي صدى لإمام كبير من أئمة الإسلام كأبي حامد الغزالي، الذي لخص موقفه (العظيم) و(الحضاري) من المرأة بقوله في كتابه (إحياء علوم الدين، ص ٨٠):

(ينبغي ان يسلك الرجال مع النساء سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك، ليسلموا من شرهن، فإن كيدهن عظيم، وشرهن فاش، والغالب عليهن سوء الخلق، وركاكة العقل).

ويضيف الغزالى فى (ص١٠٩) من نفس الكتاب السابق قائلاً:

(للمرأة عشر عورات، فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات).

وفي مقال خالد منتصر (لماذا النساء أكثر أهل النار؟) اشارات كثيرة وقوية للسلف والخلف من علماء دين القرون الوسطى المظلمة الماضية والحالية.

-٥-

فما هو الاختلاف الكبير إذاً بين عرب القرون الوسطى المظلمة الآن، وبين عرب القرون الوسطى المظلمة في الماضي؟!

هناك اختلافات كثيرة مهمة:

-ركوب السيارة والطائرة، بدلاً من ركوب الجمال والبغال.

-استعمال صواريخ سام وتومي هوك، بدلاً من المنجنيق. واستعمال طائرات اف ١٦، بدلاً من طير الأبابيل.

- ارتداء الجينز وأكل الهامبركر وشرب الكولا، بدلاً من لبس القفاطين وأكل الفالوذج وشرب الماء العكر.

- استعمال الانترنت بدلاً من الحمام الزاجل.

- مبايعة صدام حسين مجرم الكويت، بدلاً من يزيد بن معاوية مجرم الحجاز.

- محاربة الأمريكيين والأوربيين ودعوتهم لدخول الإسلام بقوة الارهاب. والدعوة لرفع الراية الإسلامية فوق قصر بكنجهام، بدلاً من غزو الفرس والبيزنطيين ورفع الراية الإسلامية فوق إيوان كسرى.

-مبايعة بن لادن لخلافة المسلمين بدلاً من عبد المجيد بن عبد العزيز آخر خلفاء بني عثمان المخلوع عام ١٩٢٤.

- قتل محمود طه وفرج فودة وحسين مروة وسليم اللوزي ورياض طه وكريم مروة وناجي العلي وشهدي عطيه وفرج الله الحلو وغيرهم، بدلاً من الحلاج ومهيار الدمشقي وجعد بن درهم والسهروردي وابن المقفع وغيرهم.

- تنصيب الشيخ القرضاوي إماماً للفقهاء، كما كان أبو حامد الغزالي.

-استقاء أخبار العالم من (قناة الجزيرة) بدلاً من الشعراء كجرير والفرزدق والمتنبي وغيرهم الذين كانوا لسان حال الدول.

من منا ضاق بالآخر؟

عرب وكرد.. نريدهم أخوة ويريدهم (قومجيونا) أعداء فقط

عواد ناصر

أُريد لي، ولأمثالي، عبر الحقب الشعرية أن نتحدث عن الكرد كشعب آخر ملتبس، أو كما أراد له قوميونا الأشاوس أن يبقى إلى الأبد: الأخوة الأعداء.
لكن كازانتزاكيس، اليوناني النبيل، لم يقع يوما في أحبولة قومية كالتي يقع فيها، على مدار الساعة، قوميونا العرب من ساطع الحصري الى ميشيل عفلق الى صدام حسين.
أتحدث، اليوم، عن الكرد أم عن قومييننا الأقحاح؟
لا أعتقد أن الحديث عن الكرد سيستقيم من دون الإشارة الى القتلة.

أشكال الإلتباس الذي يخترعه القومجي العربي كثيرة فهي لم تبدأ بإجبار الكردي على أن يكون عربيا عبر تسجيله عضوا في حزب البعث رغم أنفه، وليس بتهجير الكرد من السليمانية الى الناصرية وليس بمنع الكردي من أن يكون كرديا، وليس- إذا تعذر ذلك كله- بحرق الكرد بالكيمياوي.

إنها (فكرة) تطورت الى جريمة قومية، على غرار أكثر الفاشيات تقليدية في القرن العشرين: أنا الأرقى وأنت الأدنى.

لهذا ينبغي أن تمتد سبابة الكلام الى قومجيينا الأقحاح (المسلحين خصوصا) كلما سنحت مناسبة للحديث عن الكرد.

لكن تقلبات الزمن، التي تشبه، أحيانا، الانقلابات العسكرية تسمح للكردي الأول، كاكا مسعود أو مام جلال، أن ينزل من جبل قنديل الى بغداد ليس متسللا أو مفاوضا، بل مواطنا عراقيا ينتقل بين محافظات العراق بيسر بعد أن كان ممنوعا من ذلك منذ ١١/ آذار/١٩٧٠ حتى سقوط الفاشي الأول في العراق يوم ٩/نيسان/٢٠٠٣

لكن الالتباس لم يزل حاضرا عندما يسألني مواطن عربي: هل الكرد مسلمون؟

إن الأمر يرجع للجذر نفسه: الثقافة الفاشية. لم يقم المسلم العربي الحاكم، سواء في مقر الحكومة أو جامع القرية، بدوره الديني وليس السياسي، فيشرع في خطبة الجمعة، بدلا من إبداء الولاء للحاكم الفاشي والدعاء له، بإشاعة الأخوة بين أبناء البلد الواحد وترويج ثقافة التسامح والتعايش وتعزيزها..لأن تبادل المواقع بين إمام الجامع ورجال المخابرات وصحفيي (أم المعارك) لم يترك تلك اللحظة الإنسانية المشتركة بين الكردي والعربي وبقية العراقيين بمنأى عن آيديولوجيا الفاشيست الطارئة.

لكل من هؤلاء سبب ومبرر ودافع. الأساس الذي ينطلق منه الجميع هو موقف فكري رسمي وجد في صدام حسين خير من يقمع فكرة الديمقراطية في العراق ويمنع سريانها في المنطقة، وفي جزء منه طائفي حيث الحقد التقليدي على الشيعة وتصويرهم بأنهم عملاء إيرانيون. هذا عدا أولئك العرب المنتفعين بكوبونات النفط .

إن أسبابا عدة تجعل من قطاعات عربية تعلن ولاءها جهرا لصدام حسين، لكن هذا الولاء بدأ بالإنحسار ولم يعد ذا تأثير.

رأيت السيد برهم صالح على شاشات الفضائيات العربية زائرا لمصر وملتقيا بوزراء ومسؤولين مصريين بينهم السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية، وبخلاف مندوب العراق السابق لدى الجامعة العربية كان صالح صريحا وشجاعا وهو يطالب العرب الرسميين بالإعتذار.

كيف يمكن للمسؤول العربي، في الجامعة العربية أو سواها، أن يرفع عقيرته بالصراخ من أجل حرية العرب وانتصارهم وتحقيق آمالهم بالعزة القومية وهو يصمت أو يتجاهل أو يجهل ضرب حاكم عربي لشعب شقيق بالقنابل الكيمياوية؟

ثمة مرض مستوطن يصيب الكثير من المسؤولين العرب، والعاملين في قطاعات مختلفة، يمكن أن نسميه مرض: الولاء.

إنهم يقولون نحن ندافع عن الشعب العراقي. لكنهم في الحقيقة يحاولون خلط الأوراق والدفاع عن صدام حسين. أين كانوا من جرائم صدام حسين منذ الحرب العراقية الأيرانية حتى اليوم؟

سرت على قدمي عبر ثلاث دول بحثا عن عدن ضائع. بحثا عن أحد أكبر أحلامي كشاب متحمس، لكنه صادق، ومؤمن بأن الحرية ممارسة وليست تنظيرا. لكن تأكد فيما بعد قول القائل: لا تنتهي الثورات كما بدأت. والوعود لا تصدق على الدوام. والجميع يتحمل مسؤولية ما حدث قيادة وقواعد.

لأن الشاعر يبدأ من حيث انتهت اللغة، فهو يحلم حلما مغايرا من حيث انتهت الأحلام.

ولأنه محاصر بامبريالية الكومبيوتر ستشق عليه العودة الى مشاعية الفكرة.

إنه لأمر غير مفهوم لخالو عمر، آمر فصيل الفنانين(الحزب الشيوعي العراقي) ذات روبار في ناوزنك، أن يرى عددا من الأنصار يفرشون أسنانهم صباحا عند الساقية.

(أريد بيش مه ركه أشداء لا راقصات)

يصرخ خالو عمر!

لكن مام رسول ذلك الكردي جميل الطلعة رغم سنيه الخمسين، ببشرته المصنوعة من لبن أربيل وتين ورته وثلج حصاروست وقامته النحيلة المستقيمة التي تشكل زاوية مستقيمة مع امتداد الأرض كلها، كان له معنا خطاب آخر.

قادنا مام رسول في تلك المفرزة الصغيرة صعودا (وفي كردستان ثمة صعود أكثر من النزول!) فكنا سربا من قطا عربا وكرداً ننقل خطواتنا على أرض ثلجية تخفف صدمة الوقع وتتضاعف فوقها أشعة القمر.

كنت حديث عهد بالجبل، أسوة بالباقين، تتشنج قاماتنا وتقسو خطواتنا فنتعب قبل غيرنا الكرد. رأى ذلك مام رسول أو أحسه فقال: (لتنتقل خطواتكم حسب نبض قلوبكم.. وبذا لن تتعبوا).

حاولنا ذلك لكننا لم ندركه إلا بعد حين من الدهر.

قلت له يوما: لقد مضى وقت ليس بالقصير قبل أن أتعلم نقل خطوي حسب نبض قلبي، يا مام رسول!

قال وهو يخط على الأرض بغصن رفيع: لو اخطت زرين لقميصك سترى أن الزر الثاني قد استقر بمكانه بوقت أقل وأسهل مما سبقه.

وإذ سمع من الآخرين بأني شاعر وصحفي استغرب من عدم التحاقي بمكتب الإعلام في ثورة الجبل وبقائي مقاتلا مجردا، أحرس ليلا وأطبخ أو أجمع الحطب أو أرعى الماعز نهارا. قال يخاطبني: أنت بلا أم. لم أفهم مقصده، فترجم رفيق ثالث: يقصد ما عندك واسطة. تساءلت: وهل يحتاج المرء لواسطة حتى في قلب الثورة وعلى حافة الموت من أجل المبادئ!

الثورة قبل الإنتصار امتحان وبعد الإنتصار إغراء.

بين الإمتحان والإغراء ثمة انقطاعات تطول أو تقصر لكن مسيرة الشعوب تستمر، خطوة خطوة، قرية قرية، وطنا وطنا، كونا كونا.

كانت مفارزنا الصغيرة، الموجزة، لأننا قليل عديدنا، و كانت لنا محطات صغيرة وموجزة أيضا، على شكل قرى منسية ومهملة وبعض أطفالها لم يسمعوا بكلمة(مدرسة)!

كانت تلك القرى الكردية بمثابة نقاط تروية في جسم كفاحنا ضد دكتاتورية صدام حسين. قرى اقتسمت معنا الرغيف الواحد والصحن الواحد وقدح الشاي الواحد وربما الأخير.

كنت أعجب كيف لأبناء تلك القرى لم يضيقوا ذرعا بالمقاتلين طوال أكثر من نصف قرن؟

لقد كانت تجربة تدعو الى الفخر رغم ما شابها من سوء الفهم واختلاف أدوات الحوار وطريقته.

ده ركه له(*)

إسمها في خيال العريف

وفي غرفة المدفعي

وفوق خرائطه العسكرية

إسمها في قواميسنا العربية(باب المضيق)

واسمها ده ركه له

في الأغاني وتحت ثياب البنات

قالت امرأة: (ئيمه يه ك خيزانين) = نحن عائلة واحدة

عندنا لبن كالرخام

وجارتنا في وحام

وقريتنا ده ركه له

شجرة نهضت بين دبابتين

وفي غصنها قنبلة...

(*) قرية كردية

بعد سنوات عدة شاءت الظروف الداخلية والدولية أن تظفر كردستان بحريتها فابتنت لنفسها تجربة سياسية خاصة لم تخل من عثرات وأخطاء كان أكثرها مدعاة للأسى والقلق هو الإقتتال الكردي الكردي، ومن ثم ذلك الإنقسام السياسي والإداري الذي حل بها، كصيغة إضطرارية طارئة. لكن من خلال متابعتي للوضع في كردستان توطنت مخاوفي شيئا فشيئا، حيث ترسخ التجربة الديمقراطية الوليدة وتصبح في أكثر الأحيان مثلا يقاس به الوضع في العراق برمته، ليت العراق ، كله، كردستان، خصوصا هذه الأيام!!! لكن هل تخلو التجربة الكردية من نواقص؟

لا، بكل تأكيد. فليس ثمة صيغة سياسية يمكن أن تلبي أحلام الإنسان أيا كان، حتى في سويسرا.

حرية الرأي مقياس. والمواطن الكردي أكثر إدراكا لحساسية المشكلة. لكن البدايات صعبة دائما. وأتمنى من بعض الأخوة في القيادة الكردية التخفيف بعض الشيء من روح (الكردوية) لصالح (العراقوية). ما نفع الجسر الذي لا يبلغ ضفة النهر الأخرى؟

بدءا، ثمة إجماع عراقي عام، من أقصى شمال العراق حتى جنوبه، على أن الكابوس الأكبر والمروع ممثلا بصدام حسين قد زال. وهذا ليس بالقليل.

لكن مخلفات الكابوس لم تزل ماثلة داخل النفوس وخارج النفوس.

ثمة قوى وجماعات عراقية وغير عراقية فقدت امتيازات كبيرة وعديدة، وهي ترى الى ما يحدث اليوم في العراق ضد مصالحها وامتيازاتها. إن لهذه القوى الظلامية قاسما مشتركا هو العداء للديمقراطية.

نراها ترتكب أشد الأفعال دناءة في التخريب والنهب والسطو والحرق لتحقيق أهداف عديدة سياسية واقتصادية وحتى نفسية.

المسؤولية، أولا وأخيرا، على العراقيين، عربا وكردا وأقليات وطوائف متآخية. الأمر يعود الى هؤلاء. بقدر ما يتجذر الإحساس بالمسؤولية وازدهار روح المبادرة والحرص على مستقبل البلد، بعيدا عن روح التحاصص والثأر وتقاسم الإقطاعيات والسمو على إغراءات المنصب، والتخلي عن سياسة الخنادق المتقابلة والعيش تحت سماء عراقية مفتوحة متاحة للجميع كطقس جميل لا يستطيع أحد الأستحواذ عليه مهما بلغت قوته، فان يوم الحرية يكون بمتناول اليد.

المهم هو الإتفاق على المنطلق والمنهج حيث التفاصيل قابلة للحوار والإتفاق.

إن المجتمع المدني لا يبنى على التناحر الآيديولوجي أوالطائفي أو المناطقي أو العشائري. الخطوة الأولى باتجاه المجتمع المدني هي النظر باتجاهه أولا، كهدف للجميع، وإذا ما تم الإتفاق على الهدف بصدق ومسؤولية فالتفاصيل لا يمكن أن تكون موانع أو معوقات.

وجود قوات التحالف ضروري في هذه المرحلة ويمكن بمساعدتها أن نتدرج ببناء السلطة الإنتقالية وتحقيق الأمن للمواطنين. ومن ثم إجراء إنتخابات برلمانية لمثلي الشعب العراقي. وكما أسلفت المسؤولية عراقية بامتياز، وليس هناك قوة في العالم يمكن أن تبني وطننا بالنيابة عنا.

إن احترام الرأي الآخر يمكن أن يكون مدخلا لتحقيق فكرة الجدل الإيجابي وصولا الى وطن للجميع. وتقبل وجهات النظر الأخرى مهما كانت مختلفة ما عدا الفاشية، وهي تتخذ أشكالا أخرى هذه الأيام، لأنها جريمة وليست وجهة نظر.

يمكن أن تكون التجربة الكردية سواء من حيث تأسيس لحياة ديمقراطية في المنطقة أو ما ستليها من خطوات توحيدية مفيدة لعموم العراق، باعتبار أن القضية الكردية جزء من القضية العراقية، ويجد كل طرف إنعكاسه على الطرف الآخر.

من ضاق منا بالآخر، إذن؟

الكردي ضاق بالعربي أم العربي ضاق بالكردي؟

الجواب عن هذين السؤالين ينبغي أن ينطلق من مفهوم المواطنة.

من الطبيعي أن يعتز كل منهما بقوميته، بأصله وأرومته. بتاريخه، طبعا.. لكن من كان منا ذا قومية صافية وأصل شديد الوضوح وأرومة لا تحتمل التمحيص والرصد؟

لقد مرت على منطقتنا جيوش ومحتلون وطغاة كثيرون ولم يتركوا لكل منا غير ردة الفعل، لا الفعل.

كنا لا نملك سوى أذرعنا نحتمي بها من سيوف الغزاة وأكواخنا من أسلحة الفاشيست الكيمياوية.

تعالوا إذن نشترك في حكمة الضماد التي تليق بجرحنا الواحد: العراق.

لا تؤاخذوني على لغتي، فأنا لست محترف سياسة ولا متبحرا بالإثنيات، إنما أنا واحد منكم أنتم العرب والكرد.

كنت جنديا في كردستان فخطب بنا المجرم طه الشكرجي آمر الفرقة الثانية، وقتها، قائلا: أنتم أهل الجنوب مصدر فخرنا وأنتم تقاتلون هؤلاء الأوباش.. أعداءكم الكرد.

وكنت بيشمه ركه، في الثمانينيات، فضاق بي أحد الأكراد قائلا: لا نريدكم معنا. هل تدخلون في عقر دارنا؟

من ضاق بالآخر إذن؟

طه الشكرجي الشوفيني لا يمكن له أن يفهم أن الكردي مواطن عراقي لا يحلم بغير حقوقه الشرعية.

والكردي المتعصب انطلق من ردة الفعل جراء العسف منذ نابالم عبد السلام عارف وانتهاء بغازات صدام حسين، ومن سبقهما.

ونحن بينهما: بين الشوفيني العربي والكردي الذي يحسب كل عربي عدوا.

لا لهذا ولا لذاك.

لا الكردي خصم للعربي ولا العربي خصم للكردي. إنما البعض منا يذهب بعيدا في قوميته ويتعصب الى حد توسيع الخندق الدامي.

حقوق الشعب الكردي أكبر من قضية سياسية أو قومية أو جغرافية يمكن حلها بالترضيات السياسية والتوافق بين طرفين: عربي وكردي.

القضية الكردية قضية وعي شاق يجب أن تحل من منطلق داخلي بحت. داخل البيت الواحد.

الوعي الشقي يعاني منه الطرفان مع الأسف. أو بعض عند كل طرف.

أعتقد علينا أن نتوقف عند مفهوم الحرية. أعني حرية العراقي التي هي أساس مواطنته. إذا آمنا بهذه الحرية، ولا نرفعها شعارا كشعارات الإنقلابيين، يمكن عندها أن يتأسس وعي جديد لهذه المواطنة يكفل لكل منا، كمواطنين عراقيين، عربا وكردا وأقليات وطوائف متآخية، أن يكون مواطنا بغض النظر عن قوميته ودينه وطائفته وآيديولوجيته.

يقول السؤال الكردي أحيانا، مع الأسف:(هل من العدل أن تتساوى المحافظات الكردية التي قدمت أنهارا من الدماء في مواجهة الدكتاتورية مع تلك المحافظات التي لم تعارض أي نظام سابق، بل أن هوى بعضها ما زال مع النظام السابق وعودة الدكتاتورية والحكم الشمولي الى العراق؟).

متى كان نضال الشعب العراقي ضد الدكتاتوريات على أساس المحافظات؟

هناك في تلك المحافظات التي يقول السؤال بأنها مع الدكتاتورية خيرة المناضلين من أجل ديمقراطية العراق والحكم الذاتي لكردستان عبر تاريخ العراق.

على أن نضال الشعب الكردي ذو طبيعة خاصة لا يمكن أن يوصف بما تم وصفه.

فهناك أيضا السؤال العربي، مع الأسف، بمواجهة السؤال الكردي: (الم تقف المحافظات الكردية مع الدكتاتورية، في بعض المراحل، بينما كانت بقية المحافظات تدفن بالمقابر الجماعية؟).

إذن، ينبغي العودة الى ما بدأناه: الكردي مواطن عراقي، مع الأخذ بخصوصيته، ينبغي أن يكون مواطنا عراقيا من الدرجة الأولى، وأنا أعتبره كذلك سواء أقر له الآخرون بهذا أو لم يقروه، ولا يمكن لوطننا أن يحلق نحو الحرية بجناح واحد إنما بجناحين: العرب والكرد.

وكل ريش الجسم العراقي المتبقي هو دعم للجناحين، خوافيها وقوادمها، من بقية القوميات والطوائف والأعراق.

ثمة الكثير من بلدان العالم تتوحد فدراليا وتعيش بسلام وتقدم وحرية.

ما الضير لو أتحد العراق فدراليا، لو كانت الحكومة المركزية، حكومة تتمتع بوعي حقيقي أزاء مواطنة المواطن.

إنها خطوة سليمة أن يتمتع الأكراد بوضعهم الحالي، كحكم ذاتي، بل يجب دعمهم، حتى إقرار الدستور العراقي الدائم.إن حرية كردستان إضافة نوعية وقوة مادية لحرية العراق، وطن الجميع....